

واستعدت يهود للفرصة المواتية:

شهدتهم مستعمراتهم في يثرب وتيباء وخيبر وفدك ووادي القرى... يجتمعون إلى أحبارهم ويتدارسون.

وتذاكروا فيما بينهم أنهم الذين روجوا في العرب لبشرى نبي حان مبعثه، وأنهم كذلك، طالما منوا على العرب الأميين بأنهم أهل كتاب ودين، وهذا النبي العربي يدعو إلى دين مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل، فكيف السبيل إلى تكذيب اليهود من بشرى مبعثه؟ ومن أى طريق يظهرون عبدة الأوثان على داع إلى عبادة الله، رب موسى وعيسى، وإبراهيم وإسحق وكل الأنبياء المرسلين؟!

الموقف بالغ التعقيد والحرج، ولكن هل يخونهم دهاؤهم فلا يسهفهم بما يحتالون به عليه؟ إنها فرصة سانحة للکید للإسلام وقريش معاً، لو تركوها تفلت منهم لعقوا طبيعتهم. من هنا كان التشاور والمدارسة والتواطؤ، احتيالياً على الموقف الصعب والتماساً لمخرج منه، وإعداداً للفتوى يقدمونها إلى وفد قريش المنتظر.

* * *

تسامع بنو هاشم بما عزمتم عليه قريش من استفتاء يهود يثرب في نبوة محمد بن عبد الله، فتوجسوا شراً من هذه العصابة الماكرة، واسترجعوا ذكرى بعيدة للعم أبي طالب بن عبد المطلب، حين مرَّ بالراهب «بحيرى» في طريقه إلى الشام في رحلة صيف، وكان قد صحب معه ابن أخيه محمداً، غلاماً لم يبلغ العاشرة بعد، فلما رآه الراهب بحيرى توسم فيه مخابلاً غدي موعود، ونصح لعمه «أن يعود به إلى بلده، وأن يحذر عليه شرَّ يهودا»^(١).

وقد مر على ذلك التحذير نحو أربعين سنة، نسي فيها بنو هاشم ما كان، وغاب صوت الراهب السى العابد في ضجيج الأحداث وكرَّ السنين، حتى بدا لقريش أن تستفتى في أمر محمد، هؤلاء اليهود الذين ذكرهم الراهب بحيرى لعمه أبي طالب، وحذره على ابن أخيه من شرهم. وإذ لم يكن في استطاعة بنى هاشم أن يردوا قومهم قريشاً عما أرادوا، وقد فسد ما بينهم منذ انحازوا إلى أبي طالب في منع محمد بن عبد الله من قريش.

لم يبق إلا أن ينتظروا وتنتظر مكة كلها، ما يكون من فتوى يهود.

* * *

(١) السيرة : ١٩١/١.